

عند ملتون . أما التوكيد على بنية البيت فهو الأقل ضرورة لتقديم نمط مقابل لبنية الجملة المركبة . ولاسيبيل الى العثور على طول الموجة في شعر ملتون إلا في الجملة المركبة ، إنها مقدرته على أن يقدم نمطاً كاملاً وفريداً الى كل فقرة، بحيث يوجد الجمال الكامل للبيت في سياقه ، وهي مقدرته على العمل في وحدات موسيقية أوسع من وحدات أي شاعر آخر — ذلك عندي أكثر الأدلة حسماً على براعة ملتون الفائقة . فالشعور الغريب، الذي يكاد يكون إحساساً متجسداً بالوثبة اللاهثة ، والذي نصل اليه عن طريق الجمل المركبة الطويلة عند ملتون ، وعن طريقها وحدها ، يستحيل بلوغه من طريق الشعر الملقى وفي الحقيقة فإن هذه البراعة دليل حاسم على بواقته الذهنية أكثر مما هي التقاطه لأية أفكار استعارها أو ابتكرها، فالقدرة على التحكم بهذا القدر الكبير من الكلمات في وقت واحد إنما هي آية على عقل ذي طاقة ممتازة الى درجة متناهية .

ومن المفيد عند هذه النقطة أن نستعيد الملاحظات العامة حول الشعر المرسل التي حفز النظر في الفردوس المفقود جونسون على تدوينها في أواخر مقالته .

«تقع موسيقا الأبيات البطولية الانكليزية من الأذن موقعاً يبلغ من وهنه أنه يتلاشى بسهولة مالم تتعاون كل المقاطع الصوتية في كل بيت معاً . ولايمكن الحصول على هذا التعاون إلا بالمحافظة على كل بيت غير مختلط بآخر ، من حيث كونه نسقاً متميزاً من الأصوات . ويتم الحصول على هذا التميز، والمحافظة عليه بوسيلة القافية. أما تنوع الجمل المركبة، وهو الذي أفرط في الاشادة به عشاق الشعر المرسل، فيحول معايير شاعر انكليزي الى الجمل المطولة الخطائية . وليس هناك إلا قليل من قراء ملتون المهرة والمخطوظين الذين يمكنون مستمعهم أن يدركوا أين تنتهي الأبيات أو تبدأ ، فالشعر المرسل ، كما قال ناقد بارع ، «يبدو أنه شعر للعين فقط» .

وقد يذكر بعض مستمعي أن هذه الملاحظة الأخيرة قد أدلى بها في كثير من الأحيان ، بالكلمات ذاتها تقريباً ، قبل جيل من الأجيال الأدبية ، حول